مستويات التأويل الدلالي في قراءة النص الشعري عند "ابن جني" (ت 392هـ)

د. فيصل أبو الطُّفَيْل
جامعة المولى سليمان، الكلية متعددة التخصصات
خريبكة/المغرب

***Résumé* :**

Les niveaux d'interprétation sémantique dans la lecture du texte poétique chez Ibn Jinni

La lecture qu'Ibn Jinni produit autour de l'œuvre d'Al-Moutanabbi pose diverses problématiques allant des écarts linguistiques à l'esthétique des figures rhétoriques et aux pensées critiques en passant par la polysémie du vers poétique. C'est ce dernier point d'analyse que le présent travail tend à approcher. C'est en effet de la polysémie que découle la multiplicité des lectures proposées par Ibn Jinni et c'est en se référant au contexte qu'on peut trancher entre les différents sens possibles. Car interpréter c'est réfléchir sur la densité sémantique en même temps qu'établir un choix entre différentes significations.

Mots-clés : poésie, interprétation, lecture, contexte.

الملخص :

تطرح قراءةُ ابن جني شعرَ المتنبي إشكالات تتنوع بتنوّع مداخل هذه القراءة وزوايا اهتمامها: فمن الانزياحات اللغوية، إلى جمالية الصور الشعرية، مرورا بالمؤاخذات النقدية، و وصولا إلى تعدّد معاني البيت الشعري الواحد. ومن هذا المستوى الأخير ينبع الإشكال الذي يروم هذا البحث تحليله ومقاربته. فبتعدّد المعاني تتعدد التأويلات الناجمة عن القراءات التي قدّمها ابن جني، وبتحديد السياق تستبين وجوه التفاضل الممكنة بين مختلف الدلالات. ذلك أن "التأويل التفات إلى كثافة المعنى ومفاضلة بين وجوه الدلالة".

الكلمات المفتاحية: الشعر–التّأويل–القراءة–السياق

تقديم:

كان ابن جني مستقرئا دقيقا لشعر المتنبي في لغته الشعرية وفي معاني أبياته. وقد تفاوتت درجات اهتمام شُرّاح المتنبي بين اللغة والمعنى والإعراب، وإن كان ابن جني على رأس الشراح الذين ركزوا على اللغة وشرح المفردات ودعمها بشواهد العربية، على الرغم من أنه لم يهمل المعنى ولا الإعراب، لكن شروح اللغة كانت أكثر ما يستقطبه في عملية الشرح[1].

أولا: التأويل وانحسار المعنى في الدلالة الحرفية

ذهب محقق "الخصائص" إلى أن مؤلفات ابن جني تجلَّتْ فيها مظاهر ثلاثة: المظهر اللغوي، والمظهر الفقهي، والمظهر الكلامي"2. وفي الفسر يهيمن المظهر اللغوي على شروحات ابن جني لأبيات المتنبي، فكان أبو الفتح يقف من هذه الأبيات عند ألفاظها فيشرحها معجميا، مبديا مزيد اهتمام بالنواحي الدلالية للكلمة المشروحة، وذلك إما بإفرادها بالشرح كما في شرحه لبيت المتنبي[3]:

تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالقَوَاطِعِ بَارِقًا ... تٍ وَالْمَعَالِي كَالعَوَالِي شُرَّعَا

قال أبو الفتح: "(الصَّنَائِعُ): النِّعَمُ والأيادي، و(القَوَاطِعُ): السُّيوفُ، أي: هي مُشرقة لامعة، و(العَوَالِي): الرِّماحُ، و(شُرَّعٌ): مُنتصِبَةٌ، أي: مُشرفة مُرتفعةٌ"[4].

ومن ذلك أيضا ما أورده عند قول المتنبي[5]:

في كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوافِي جَوْلَةٌ ... في قَلْبِهِ ولأُذْنِهِ إصْغَاءُ

قال ابن جني: "(القوافي)، يريد ههنا: القصائد. وقد نطقت بذلك العرب(...) و (الجولة): الذهاب والمجيء، و(الإصْغَاءُ): الاستماعُ، يريد: أنه كل يوم يُمدح"[6].

وفي قول المتنبي[7]:

لا تَكْثُرُ الأمواتُ كَثْرَةَ قِلَّةٍ ... إلّا إذا شَقِيَتْ بِكَ الأحْيَاءُ

قال ابن جني: "وقولُه: (شَقِيَتْ بِكَ)، يريد: شَقِيَتْ بِفَقْدِكَ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ وقامَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مقَامَهُ، وهذا (...)كَقَوْلِ العرب: "بَنُو فُلانٍ يَطؤُهُمُ الطَّرِيقُ"، أي: أهلُ الطريق، وهو كثيرٌ جِدّاً في القرآن والشّعْرِ"[8].

فالشارح أو الناقد في هذا المستوى يوظف معارفه اللغوية في إخراج الكلام من حيز الإبهام إلى حيز البيان، ويتعلق أكثر ما يتعلق بالدلالة الحرفية التي تتضمنها الألفاظ والتراكيب"[9].

والقارئ للفسر يتوقف عند أبيات للمتنبي لم يشرحها ابن جني، وإذا بدا أن كثيرا منها يوضح نفسه بنفسه، كما في قول المتنبي[10]:

وأظْلَمُ أهْلِ الأرض مَنْ باتَ حاسداً ... لِمَنْ باتَ في نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

وقوله[11]:

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ... فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلا يَضَعُ

فإن من الأبيات ما يحتاج إلى مزيد شرح وبيان، ومن ذلك مثلا قول أبي الطيب[12]:

كَشَفَتْ ثَلاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا

وقوله[13]:

ومِنْ جاهلٍ بي وهو يجهل جهلَهُ ... ويجهل علْمي أنه بيَ جاهلُ

وأحيانا يمر ابن جني على جملة أبيات دون شرح، كما في أبيات المتنبي[14] التالية:

فَهُنَّ أَسَلْنَ دماً مُقْلَتِي ... وَعَذَّبْنَ قلبي بِطُول الصُّدودِ

وكَمْ للهوى مِنْ فَتًى مُدْنَفٍ ... وكَمْ للهَوَى مِن قَتِيلٍ شَهِيدِ

فوا حسرتي ما أَمَرَّ الفِرَاقَ ... وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالكُبُودِ

وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالعَاشِقِينَ ... وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ العَمِيدِ

فهذه أربعة أبيات تركها الشارح دون شرح فلم ير ضرورة شرحها ولو معجميا[15].والشارح هنا يفتح الباب أمام القارئ لإضاءة ما غمض من المعاني في النصوص الشعرية، وهي النصوص التي يرى عبد الفتاح كيليطو أنه يوجد في هذه النصوص مصباح داخلي يزيح الظلمة عنها"[16].

وقد يترك شرح معنى الأبيات وذلك يحدث في الأبيات السهلة الواضحة حيث يكتفي ببيان بعض معاني المفردات، إلى درجة توضيح الواضح أحيانا كما في شرحه قول المتنبي[17]:

فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ ... وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غيرُ كَئِيبِ

قال ابن جني: "الكئيب: الحزين، والكآبة: الحزن"[18].

ثانيا: التأويل وتحديد الدلالة داخل السياق:

ينبني التأويل على تحديد المعنى أو المعاني المقصودة داخل النص الشعري، ويفرض على المؤوِّل تمكّنه من قدرات خاصة في القراءة والتأمل والاستنتاج، إذ "يعتبر التأويل العملية الأمثل للتعبير عن عمليات ذهنية على درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص والظواهر"[19]. كما أن العلاقة بين النص والسياق تقوم على التكامل إذ يتمّم كل منهما الآخر. وفي هذا المقام يعتبر جون لاينز "النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم، بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدّثون والكُتّاب في مواقف معيّنة"[20]. ويمكن أن في نميز في هذا الصدد بين ثلاثة مظاهر تأويلية هي:

أ- تخصيص الدلالة:

ومن أمثلته تحديد المراد من لفظة (قشيب) في قول المتنبي[21]:

أَيَا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ ... وعَادَ زَمانُهُ البَالِي قَشِيبَا

قال أبو الفتح: "(القَشِيبُ): الجَدِيدُ هُنَا، وَهُوَ الخَلَقُ أَيْضاً في غَيْرِ هذا الموضعِ"[22] .

ومما يدخل في باب تخصيص الدلالة ما عرضه ابن جني في معاني لفظة "العِرْض" ووضع اليد على معنى معين دون غيره من المعاني الأخرى مع الإشارة إليها، وذلك في بيت المتنبي[23]:

يَحُلُّ القَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِي ... فَأَحْرِمُهُ عِرْضِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي

قال أبو الفتح: "وَاخْتَلَفَ النَّاسُ في عِرْضِ الرَّجُلِ ما هو؟، فقال قومٌ: جِسْمُهُ (...) وقالَ قومٌ: عِرْضُ الرَّجُلِ: نَفْسُهُ (...)وقالَ قومٌ: عِرْضُ الرَّجُلِ: خِلْقَتُهُ الْمَحْمُودَةُ، وَقالَ آخَرُونَ: عِرْضُهُ مَا يُمْدَحُ بِهِ وَيُذَمُّ(...)وَقالَ آخَرُونَ: عِرْضُهُ: حَسَبُهُ، وَإِيَّاهُ عَنَى الْمُتَنَبِّي في هَذَا البَيْتِ"[24].

ويمكن أن نضيف المثال الآتي، وهو قول المتنبي[25]:

مَسَرَّةٌ في قُلوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُها ... وَحَسْرَةٌ في قُلوبِ البَيْضِ وَالْيَلَبِ

قال أبو الفتح: "اختُلف في (اليَلَبِ)، فقال بعضهم: تِرسَةٌ تُعمل من جلود الإبل غيرُ مدبوغة، وقال بعضهم: جلودٌ تُضفر، وتُنسج، فيلبسونها إذا لم يكن لهم دروع، فيُقال: تُلْبس مثل الجوشن. ويُقال: جلودٌ تُجعل تحت البَيْضِ أو كالبيْض، وهذا هو الذي أراد في هذا البيت"[26].

ب-تعميم الدلالة (الاتساع):

نبّه أبو الفتح على الأصل الدلالي لكثير من الألفاظ، كما ربطه بتتبع التطور الدلالي لها وتحديد طرق استعمالها، بإبراز جوانب الاتساع الدلالي فيها، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما يلي:

قال المتنبي[27]:

إذا ما سِرْتَ في آثارِ قَوْمٍ ... تَخَاذَلَتِ الجَمَاجِمُ والرِّقَابُ

قال أبو الفتح: "أصلُ التَّخَاذُلِ: التأخر، ومنه ظبية خَذُولٌ، إذا تأخرتْ في المرعى، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة فقد تأخر الإنسان"[28].

ومنها أيضا قول المتنبي [29]:

يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لُهَا يَدِهِ اللُّها ... وَتُرَى بِرُؤْيَةِ رَأْيِهِ الآرَاءُ

قال ابن جني: "(اللُّها): العطايا واحِدتُها (لَهْوَةٌ)، وأصلُ اللَّهوة: القَبْضة من الطّعام، تُلقى في فم الرَّحى، فَشُبِّهَتِ العطايا بها"[30].

ج-تغيير مجال استعمال الكلمة (عبر الانتقال من طريق المجاز)

أما المظهر الثالث من مظاهر التطور الدلالي فهو مظهر الانتقال من المعاني المعجمية للألفاظ إلى معانيها المجازية، فلأبي الطيب المتنبي أبيات كثيرة أدرك ابن جني أن المعنى فيها لا يقتصر على الدلالة المعجمية فقط، بل يمتد إلى دلالات مجازية أخرى يراعى فيها سياق البيت وعلاقته بالأبيات الأخرى داخل القصيدة. يقول "حسين الواد":

" إن أبا الطيب شأنه شأن كثير من الشعراء العرب، لم يُجْرِ ألفاظ العربية على المجرى المعهود في استعمالها وإنما جنح بها إلى دلالات ومقاصد جمع ابن جني بعضها في الباب الذي عقده لـ (شجاعة العربية) من (خصائصه)[31]. وقد أدرك القدماء ، عندما أمعنوا النظر في شعر أبي الطيب، أنه لم يستعمل ألفاظا كثيرة من لَفْظِ العربية لتكون أدلة للمعاني التي وضعت لها في الأصل، وإنما

بناها على الموروث المجازي من لغة الشعر وجعلها تكتسب دلالتها من أجوارها في السياق الذي وردت فيه، فكان من هذا أنْ ضعفت الصلة بينها وبين دلالاتها المعجمية وارتبطت بالأبيات التي وردت فيها فكانت لها المرجع الذي يحتكم إليه في تحديد معانيها"[32].

ومن الأبيات التي تنبه لها ابن جني فلم يفسرها تفسيرا معجميا؛ وإنما تفسيرا مجازيا به يتوصل إلى تحديد معنى البيت قول المتنبي[33]:

ولوْ غيرُ الأميرِ غَزَا كِلَاباً ... ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمُ ضَبَابُ

قال أبو الفتح: "ضرب ذلك مثلاً. أي: كان له مشتغل بما يلقى منهم من قبل الوصول إليهم، وإباحة حريمهم. ويمكن أن يكون كنى بـ (الشموس) عن النساء، وبـ (الضباب) عن المحاماة دونهن"[34].

وقوله[35] أيضا:

رَمَيتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حديدٍ ... له في البَرِّ خَلْفَهُمُ عُبابُ

قال أبو الفتح: "يريد بالبحر: الجيشَ لكثرة سلاحه وتموّجه"[36].

د- إبراز الفروق الدلالية بين الكلمات

ومما عني به ابن جني في إطار شرحه المعجمي للألفاظ، اهتمامه بإبراز الفروق الدلالية الدقيقة بين الكلمات، ومن أمثلة ذلك في الفسر، شرحه لبيت المتنبي[37]:

سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَصْلٍ غَيرِ نابٍ ... وَرَوَّى كُلَّ رُمْحٍ غيْرِ رَاشِ

قال ابن جني: "(النَّصْلُ): الحَدِيدُ، ما لَمْ يَكُنْ لَهُ مقْبَضٌ، فإذا صارَ له مَقْبَضٌ، فهو السَّيْفُ[38]، والقَنَاةُ ما لم يَكُنْ لها زُجٌّ، فإذا كان لها زُجٌّ، فهي رُمْحٌ، وَالأُنْبُوبُ ما لم يُبْرَ، فإذا بُرِيَ فهو قَلَمٌ، والظَّعِينَةُ: الْمَرْأَةُ في الهَوْدَجِ، فإذا لم تَكُنْ في الهَوْدَجِ، فَلَيْسَتْ ظَعِينَةً[39]، وَالْمَائِدَةُ: ما اجْتَمَعَ النَّاسُ عَليها، فإذا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَليها فهو خِوَانٌ"[40].

هـ- حل المنظوم:

قد يكتفي ابن جني في شرحه بـ "حل المنظوم"، أو تحويل الشعر إلى نثر، من ذلك مثلا حلُّه بيت المتنبي[41]:

أَمْسَى الذي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِراً ... مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنَا

قال ابن جني: " أي: أَمْسَى مَنْ يَكْفُرُ بالله تعالى مِنْ غَيْرِنَا مُؤْمِنَا بِفَضْلِكَ مَعَنَا"[42].

ويمكن أن نميّز في هذا المقام بين نوعين من النصوص داخل الشرح:

* النص الشعري النواة الذي يميل إلى التكثيف والإيجاز.

* النص النثري الموازي في الشرح والهادف إلى نشر البيت وتفكيكه.

و- ذكر علل التسمية

وأمثلتها كثيرة نجتزئ منها بقول المتنبي[43]:

فَهْيَ كَمَاوِيَّةٍ مُطَوَّقَةٍ ... جُرِّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الأَدَمُ

قال أبو الفتح: "(الْمَاوِيَّةُ) (...) الْمِرْآةُ، وبِها سُمِّيَتْ (مَاوِيَّةُ)، يُرادُ بِذَلِكَ نَقَاؤُها وصَفَاءُ بَشْرَتِهَا"[44].

ثالثا: التأويل بين تنوّع الإعراب وتعدّد المعنى:

اهتم ابن جني بالإعراب باعتباره وسيلة من وسائل الشرح، وذلك إما بمعزل عن معنى البيت، وإما بتوظيفه في تفسير المعاني والإبانة عنها. وذلك على الشكل الآتي:

أ- تقليب الإعراب على الوجوه التي تقتضيها الصنعة النحوية دون عناية كافية بمحصول المعنى، ومن أمثلته شرح ابن جني قول المتنبي[45]:

هذا الذي أبْصرتُ مِنهُ حَاضِراً ... مثلُ الذي أبصرتُ مِنهُ غَائِبَا

قال أبو الفتح: "إذا نصب (مثلَ) جعل (هذا) مرفوعاً بالابتداء، و (الذي) خبرَهُ، ونصب (مثلَ) بـ (أبْصرتُ)، وإذا رفع (مثلُ) رفع (هذا) بالابتداء، وجعل (الذي) مبتدأ ثانيا و(مثلُ) خبرَ (الذي)، والجملة خبرُ (هذا)، والعائد على (هذا) من الجملة التي هي خبر عنه (الهاء) في (منه)"[46].

ب- اختلاف أوجه الإعراب وأثره في توجيه المعاني

قد يترتب على التنويع الإعرابي الناتج عن تغيير الحركة الإعرابية، تنوع في المعاني، وقد وظف ابن جني هذه التنويعات في التوصل إلى معان جديدة، ومثال ذلك تأوّله بيت أبي الطيب[47]:

لَوْ كَلَّتِ الخَيْلُ حَتَّى لا تَحَمَّلُهُ ... تَحَمَّلَتْهُ إلى أَعْدَائِهِ الهِمَمُ

قال ابن جني: "اختيارُهُ في (تَحَمَّلُهُ) الرفعُ، ويكون ذلك؛ لأنه فِعْلُ الحالِ، حتى كأنه قال: هي غير متحمِّلةٍ، والنصب جائز على معنى: إلى أنْ، كأنّه قال: إلى أنْ لا تحمَّلَهُ"[48].

ج- المفاضلة بين الأوجه الإعرابية خدمة للغرض الشعري

ومن أمثلته تأويله بيت المتنبي[49]:

فَعَلَتْ بِنا فِعْلَ السماءِ بأرْضِهِ ... خِلَعُ الأميرِ وَحَقُّهُ لمْ نَقْضِه

قال ابن جني: " ونصب (حَقَّهُ) بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ، كأنه قال: وَلَمْ نَقْضِ حَقَّهُ، فلما أضمره فسَّره بقوله: لم نقضه، وهذا كثير في القرآن والشعر، ولو رفع (حَقُّهُ) بالابتداء، وجعل (لم نقضهِ) خبراً عنه؛ لم يكن (حَقَّهُ) في قوة النصب؛ ألا تراك تقول: قام زيد؛ وعمراً

ضربته؟ فيجب أنّ نصْب (عمرو) بالفعل المضمر لتتجانس الجملتان بالتركيب، فيكون كلٌّ واحد من فعل وفاعل، فكذلك هذا، لأن قوله: (فعلتْ بِنا فعْلَ السماء بأرْضِهِ خلَعُ الأميرِ)، مركبة من فعل وفاعل، فينبغي أن تكون المعطوفة مثلَها"[50].

ونقدم مثالا آخر قدّر فيه ابن جني النصب بدل الرفع؛ وذلك في قول المتنبي[51]:

يُباعِدْنَ حِبّاً يَجْتمعْنَ وَوَصْلُهُ ... فكيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعنَ وَصَدُّهُ

قال أبو الفتح: "ولو كانت القافية منصوبةً كان النصبُ أحسنَ، لأنه كان يكون مفعولاً معه، كقولك: قمتُ وزيدا، أي: مع زيد، واستوى الماء والخشبةَ، وجاء البردُ والطَّيالسةَ، ولو تُركت الناقة وفصيلَها لرضعَها"[52].

وقد تكون عناية ابن جني بالغرض الشعري أساس المفاضلة بين الأوجه الإعرابية كما في شرحه قول المتنبي[53]:

ومَنْ يَصْحبِ اسْمَ ابنِ العَميدِ مُحمَّدٍ ... يَسِرْ بيْنَ أنْيابِ الأساودِ والأُسْدِ

قال أبو الفتح: "يجوز: (مُحمَّدٍ) و(مُحمَّدًا) ، والذي قالَهُ بِالجَرِّ، وهو أمدحُ مِنْ أن ينصِب، لأنه إذا نصَبَ أبدلَهُ من (اسم)، وإذا جَرَّ أبدلَهُ مِنْ (ابنِ العميدِ).(...) وإنما صار أمْدَحَ لأَنَّ (ابن العميد) اسم لا يشاركه فيه غيرُه، و (محمدٌ) اسم مشتركٌ، فإذا ذكر (مُحمَّدًا) لم يُعْلَمْ مَنْ يعني، فلم يُعْبَأْ به، وإذا ذكر ابنَ العميدِ فهو مشهورٌ معروفٌ لبُعْدِ صِيتِه وامتدادِ ذِكْرِه، فلهذا كان الجرُّ أقوى وأشدَّ، وضَعُفَ النصبُ"[54].

د- تنوع أوجه الإعراب تبعا لاختلاف المذاهب النحوية

ومن أمثلته قول المتنبي[55]:

طوَى الجزيرَةَ حتّى جَاءني خبَرٌ ... فَزِعْتُ فيه بآمالي إلى الكَذِبِ

قال أبو الفتح: "(خبرٌ): مرتفع بـ (جاءني)، وفي (طوى) ضمير على شريطة التفسير، هذا قول أصحابنا، وفي قول الكوفيين هو مرفوع بـ (طوى)، وضميره في (جاءني)"[56].

هـ- تعليل الوجه الإعرابي الواحد

ومن أمثلته قول المتنبي[57]:

بغيرِكَ راعِياً عَبِثَ الذِّئَابُ ... وَغَيْرُكَ صارِماً ثَلَمَ الضِّرابُ

قال أبو الفتح: "نصب (راعِياً) وَ(صارِماً) على التمييز، وإنْ شئتَ على الحال"[58].

وقوله[59] أيضا:

وَلَسْتَ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ

قال ابن جني: "رفع (هازم)، لأنه جعله مع التوحيد جميعا خبر (لكنَّ)، كما تقول: هذا حلوٌ حامضٌ، ويجوز أن يكون رفعه؛ لأنّه خبر مبتدأ محذوف، كأنّه قال: أنت هازم للشرك"[60].

خاتمة:

استنادا إلى ما قدّمه ابن جني في إطار شرحه شعر المتنبي في منجزه الموسوم ب: "الفسر"، يتأسس التأويل الدلالي عنده على ثلاثة ركائز هي: التأويل وانحسار المعنى في الدلالة الحرفية– التأويل وتحديد الدلالة داخل السياق– التأويل بين تنوّع الإعراب وتعدّد المعنى. وقد بيّن أبو الفتح أن معيار التأويل في شعر المتنبي يستنطق المعاني التي تتجاوز أحادية المعنى في البيت الشعري الواحد إلى تلك المنبجسة من السياقات المؤطرة له، مثلما تنسجم التدفقات الصاعدة للتأويل مع ثقافة ابن جني اللغوية التي تجلت عنده في ربط التأويل بتنوع الإعراب وتعدّد المعنى. وتظل أبيات أخرى من" الفسر" (ومن بينها تلك التي طغى فيها الإفراط في التأويل) محط نظر ومساءلة لما تفيض به من قيم دلالية ومعان واسعة يكون الغموض مبتدأها والوضوح مصيرها.

<u>الإحالات</u>:

1- نجد شدة اهتمام الواحدي (468هـ) بالمعاني أكثر من اهتمامه باللغة، في حين قسم صاحب التبيان شرحه إلى ثلاثة حقول: الغريب (أو غريب اللغة)؛ والمعنى؛ والإعراب. ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي: شرح الواحدي (468هـ) ، تأليف فريدرخ ديتريصي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت. (مقدمة الشرح).

2- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (1-3)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.مقدمة التحقيق ، 42/1.

3- الفسر:شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ) (1-5) حققه وقدم له رضا رجب (ت 2012م)، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2004م، 395/3.

4- م.ن، ص.ن

5- م.ن، 99/2.

6- م.ن، ص.ن. ونلاحظ في هذا المثال اقتران الشرح اللغوي ببيان معنى البيت.

7- م.ن، 108/2.

8- الفسر، 108/2.

9- المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب (تلقي القدماء لشعره): حسين الواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2004م، صص: 103-104.

10- الفسر، 576/2. ولم يشرح ابن جني هذا البيت، وهو على أي حال ظاهر المعنى.

11- م.ن، 344/3.

12- م.ن، 391/3. قال الواحدي في تفسير البيت: "يقول صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليالٍ لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها". ينظر: شرح الواحدي، ص: 182.

13- م.ن، 78/4. قال الواحدي في شرح البيت: "يقول ومِنْ رجل آخر لا يعرفني ولا يعرف أنه جاهل بي فهاتان جهالتان ويجهل أني أعلم أنه جاهل بي". ينظر: شرح الواحدي، ص: 50.

14- الفسر، 920/2.

15- وقد كثر هذا الملمح في الفسر، وأحيانا يصل عدد الأبيات العارية من الشرح سبعة كما في: م.ن، 52/4.

16- الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، المغرب، ط.1، 1988م، ص: 7.

17- م.ن، 199/2. وهذا شرح لغوي عارٍ مِنَ المعنى.

18- م.ن، ص.ن.

19- إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط.4، 1996، ص: 192.

20-اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عباس صادة الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، ط.1، 1987م، ص: 215.

21- م.ن، 487/2.

22- الفسر، 488/2.

23- م.ن، 1141/2.

24- م.ن، 1141/2. وينظر أيضا : م.ن، 294/4-295.

25- م.ن، 308/2.

26- م.ن، ص.ن.

27- م.ن، 272/2.

28- م.ن، ص.ن.

29- م.ن، 104/2.

30- م.ن، ص.ن. وينظر أيضا: م.ن، 201/4 و 402 و404.

31- ينظر: الخصائص، 360/2 وما بعدها.

32- المتنبي والتجربة الجمالية، ص: 136.

33- الفسر، 282/2.

34- م.ن، ص.ن.

35- م.ن، 286/3.

36- م.ن، ص.ن.

37- م.ن، 285/3.

38- أشار ابن جني إلى ذلك سابقا في: في الفسر، 834/2.

39- هذا هو الموضع الثاني الذي عرض فيه أبو الفتح لمعنى لفظة "الظعينة"؛ والموضع الأول يوجد في الفسر، 267/2.

40- الفسر، 285/3.

41- م.ن، 671/4.

42- م.ن، ص.ن. وقد علق "الوحيد الأزدي" على شرح ابن جني بقوله: "لم يكن مثل هذا يحتاج إلى تفسير، فإنما حل نظام البيت وأورده". (الهامش 3 من الصفحة نفسها). وما قاله الوحيد صحيح إلا أن حل ابن جني بيت المتنبي تضمن رد التقديم والتأخير فيه إلى تركيبه الأصلي، فكانت عنايته متجهة إلى بيان تركيب البيت لأنه يحتاج إلى توضيح في المبنى أكثر من المعنى. وينظر أيضا في حل نظام البيت: م.ن، 425/2و 596/4.

43- الفسر، 497/4.

44- م.ن، 497/4. ونحيل على أمثلة أخرى في: م.ن، 145/2 و173 و301 و597 و519/4.

45- م.ن، 437/2.

46- م.ن، 437/2-438. وينظر أيضا: م.ن، 978/2-981 و 266/4.

47- الفسر، 428/4.

48- م.ن، ص.ن. وفي الفسر مواطن أخرى لهذه المسألة. ينظر: م.ن، 230/4-231 و 309. وكثيرا ما يكون الإعراب خادما للمعاني، وفي ذلك يقول السيوطي: "إنَّ الْإِعْرَابَ يُمَيِّزُ الْمَعَانِيَ وَيُوقِفُ عَلَى أَغْرَاضِ الْمُتَكَلِّمِينَ". ينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (911هـ) (1-4)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1394هـ- 1974م، 309/2.

كما أن الإعراب في تصور عبد القاهر الجرجاني مفتاح أبواب المعاني، ألا تراه يقول: "(...) إذْ كان قد عُلِمَ أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعْرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه". دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (471هـ أو 474هـ)، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط3، 1992م، ص: 28.

49- الفسر، 309/3.

50- الفسر، 310/3-311.

51- م.ن، 1053/2.

52- م.ن، 1054/2.

53- م.ن، 1146/2.

54- م.ن، 1146/2-1147. بتصرف.

55- م.ن، 296/2.

56- م.ن، ص.ن. و م.ن، 15/4.

57- م.ن، 263/2.

58- م.ن، ص.ن.

59- م.ن، 405/4.

60- م.ن، ص.ن. وينظر أيضا: م.ن: 417/2-418 و 549-550 و 710.